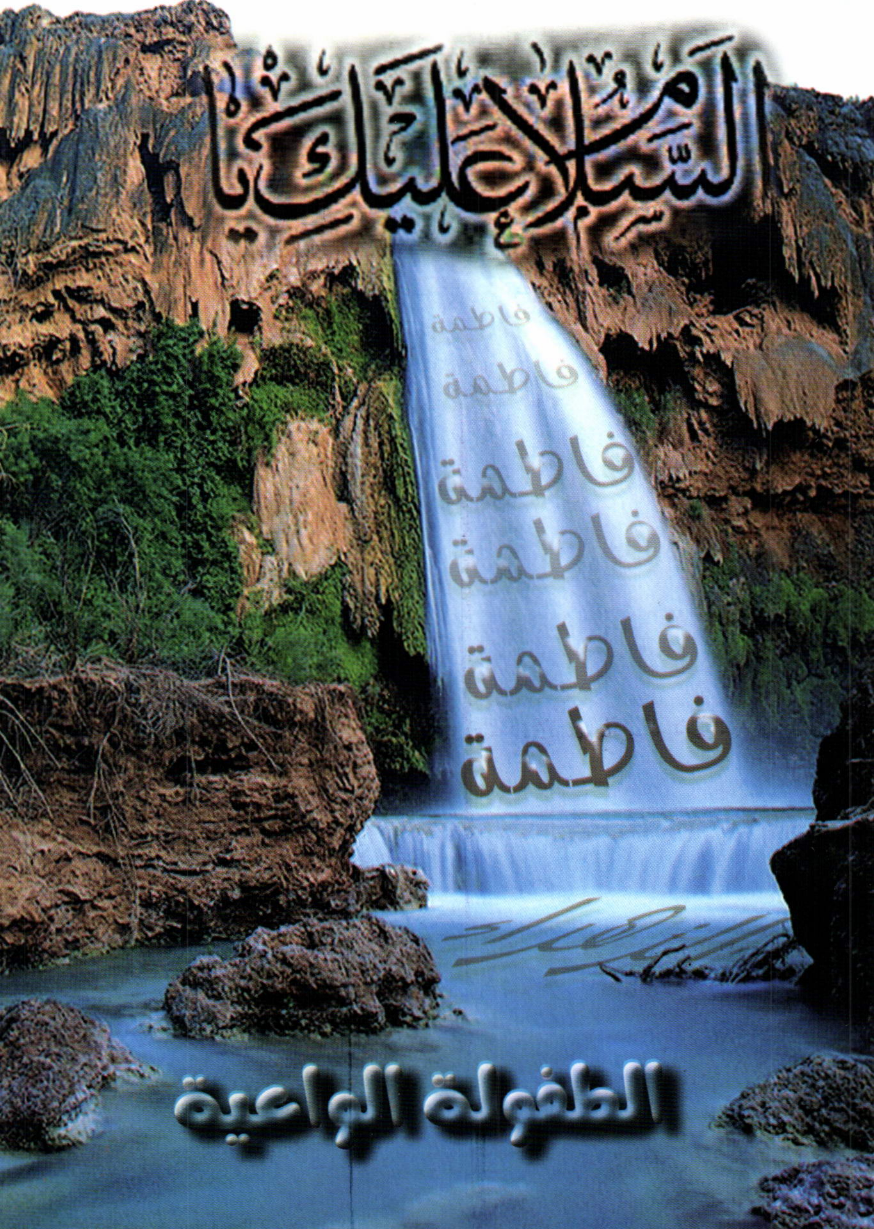

السلام عليك يا
فاطمة
فاطمة
فاطمة
فاطمة
فاطمة
فاطمة
الطفولة الواعية

اسم القصة: الطفولة الواعية
اسم السلسلة: السيرة الفاطمية(ع)
إعداد :أمل طنانة
مراجعة وتصحيح: نضال علي
رسوم: سعيد عبد الساتر
إخراج وتنفيذ: محمد الناصري
الناشر: مؤسسة الأعلمي

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧
صندوق بريد: ٧١٢٠

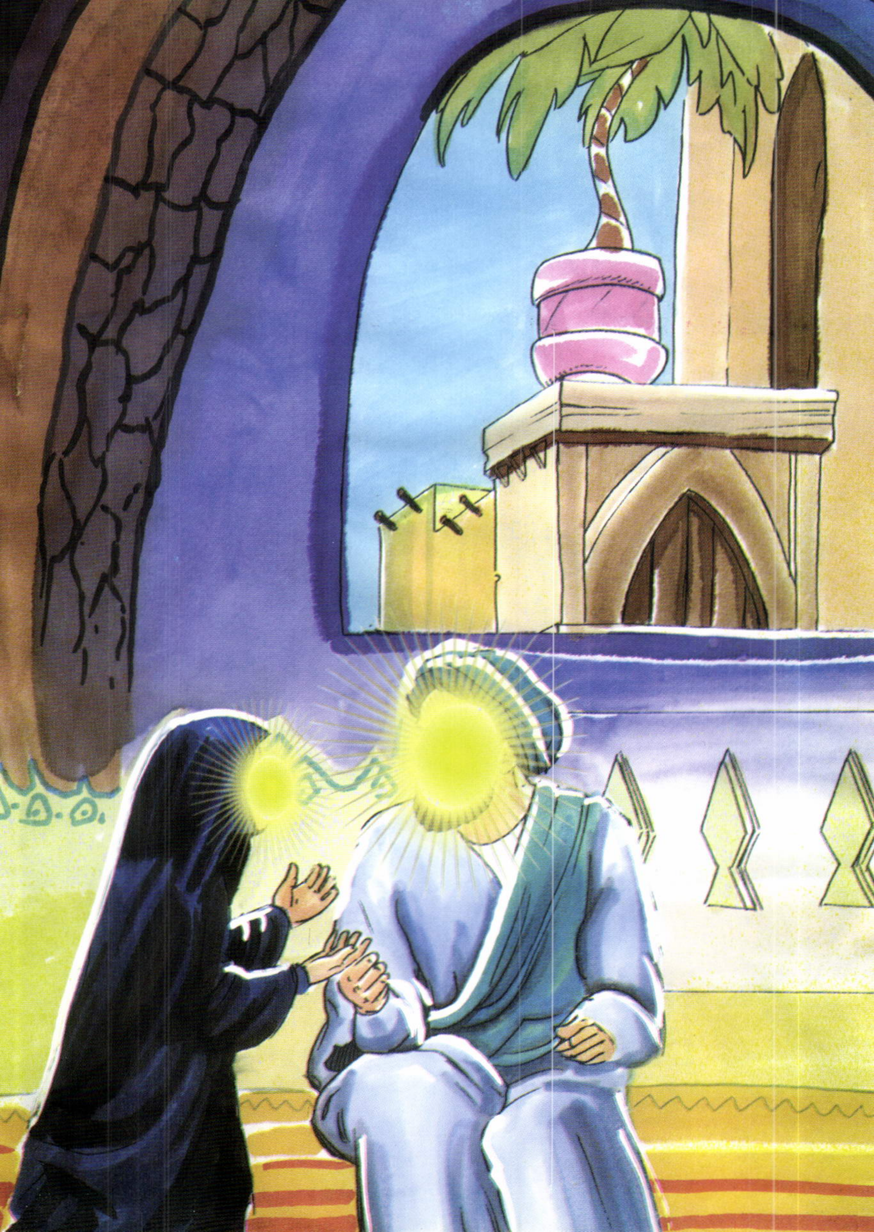
Published by Aalami Est
Beirut Airport Road
Tel:01/4504526 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

www.alaalami.com
E-mail:alaalami@yahoo.com

سلسلة السيرة الفاطمية(ع)



الطفولة الواعية



لَمْ يَعْرِفِ التّاريخُ طِفْلةً مثل فاطِمَةَ (ع) ، وَما عاصَرَها وَرَآها بَشَرٌ إلاّ وأقعدَتْهُ صِفاتُها يَتأمَّلُ ذلِكَ الْمَخْلوقَ السَّماوِيَّ وَهُوَ يَدِبُّ على الأرْضِ، كانَ ذَكاؤُها لا يوصَفُ، وَجَمالُها لا تَشبَعُ منهُ عينٌ ، وَنورُها لا يَتَوقَّفُ عَنِ امتِدادِهِ ، وَكُلُّ الْعَجَبِ في أنَّ النّاسَ الّذينَ شَهِدوا طُفولَتَها لَمْ يَكونوا جَميعُهُمْ مُؤْمِنينَ.

لَمْ يُدْهِشْ مُحَمَّداً(ص) اسْتِعْدادُ ابْنَتِهِ الزَّهْراءِ (ع) لِجَمْعِ المعَارِفِ وَالْعُلوم بِما يَعْجزُ عَنْهُ السّادَةُ الأنْجابُ، فَهُوَ وَحْدَهُ يَعْلَمُ سِرَّها الْمَكْنونَ في ذاتِهِ قَبْلَ ذاتِها.

وَلأَنَّ لَدَيْها ذلِكَ الاسْتِعْدادُ وَالتَّهيُّؤُ لِلْفَهْمِ وَالتَّعَلُّم وَالإدْراكِ، راحَ النَبيُّ(ص) يُغْدِقُ عَلَيْها مِنَ الْعِلْمِ الإلَهِيّ ، وَالْمَعارِفِ الإيمانِيَّةِ ما خَصَّها اللهُ تعالى وَحْدَها بِهِ.

إِنَّ في تَفْكيرِها الْعَميقِ ، وَإِحْساسِها الْمُرْهَفِ، وَطَهارَةِ نَفْسِها ما جَعَلَها أَهْلاً لِتَدْرُجَ عَلى دُروبِ النُّبُوَّةِ خَلْفَ أَبيها مُحَمَّدٍ (ص).



وَتَحَوَّلَتْ مَعارِفُ الزَّهْراءِ (ع) إِلى سُلوكٍ طَبَعَ تَعامُلَها مَعَ والِدَيْها وَمَعَ النّاسِ، فَكانَتْ سَيِّدَةً بِحَقٍ، لَمْ يُسَجِّلْ لَها مَخْلوقٌ هَفْوَةً قَطُّ، وَلا أَخَذَ عَلَيْها حَتّى أَعْداءُ النَّبِيِّ (ص) مَأْخَذاً أَبَداً!.

أَمّا تِلْكَ التَّرْبِيَةُ الْفَذَّةُ التي كَرَّمَ اللهُ سُبْحانَهُ بِها هذِهِ الأُنْثى مِن دونِ سِواها مِنْ نِساءِ الأَرْضِ، فَقَدْ زَيَّنَتْها بِعاطِفَةٍ صادِقَةٍ، وَحُبٍّ نادِرٍ خَصَّتْ بِهِ أَباها النَّبِيَّ (ص).

هذِهِ الْعاطِفَةُ الْعَذْبَةُ الرَّقيقَةُ حَمَلَتْ إِلى قَلْبِ الزَّهْراءِ (ع)عَذاباً دائِماً، وَهِيَ تَرى أَعْداءَ أَبيها حَوْلَهُ، يَكيدونَ لَهُ، وَيَرْسُمونَ الْخِطَطَ لِقَتْلِهِ، وَيَعْقِدونَ الاْجتماعاتِ بِنِيَّةِ إِيذائِهِ وَمُحارَبَتِهِ.

كانَتِ الزَّهْراءُ(ع) أَكْثَرَ قُرْباً مِنْ أَبيها(ص) مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، وكانَتْ تَشْعُرُ بِالْخَطَرِ الْمُحْدِقِ بِهِ. وَلكِنَّ صِغَرَ سِنِّها، وَنُحولَ جَسَدِها يُحَوِّلانِ هذا الشُّعورَ الْمُرْهَفَ، إِلى دَمْعٍ سَكوبٍ لا يَتَوَقَّفُ، وَقَلَقٍ دائِمٍ لا يَتْرُكُها لِراحَةِ الْبالِ لَحْظَةً.

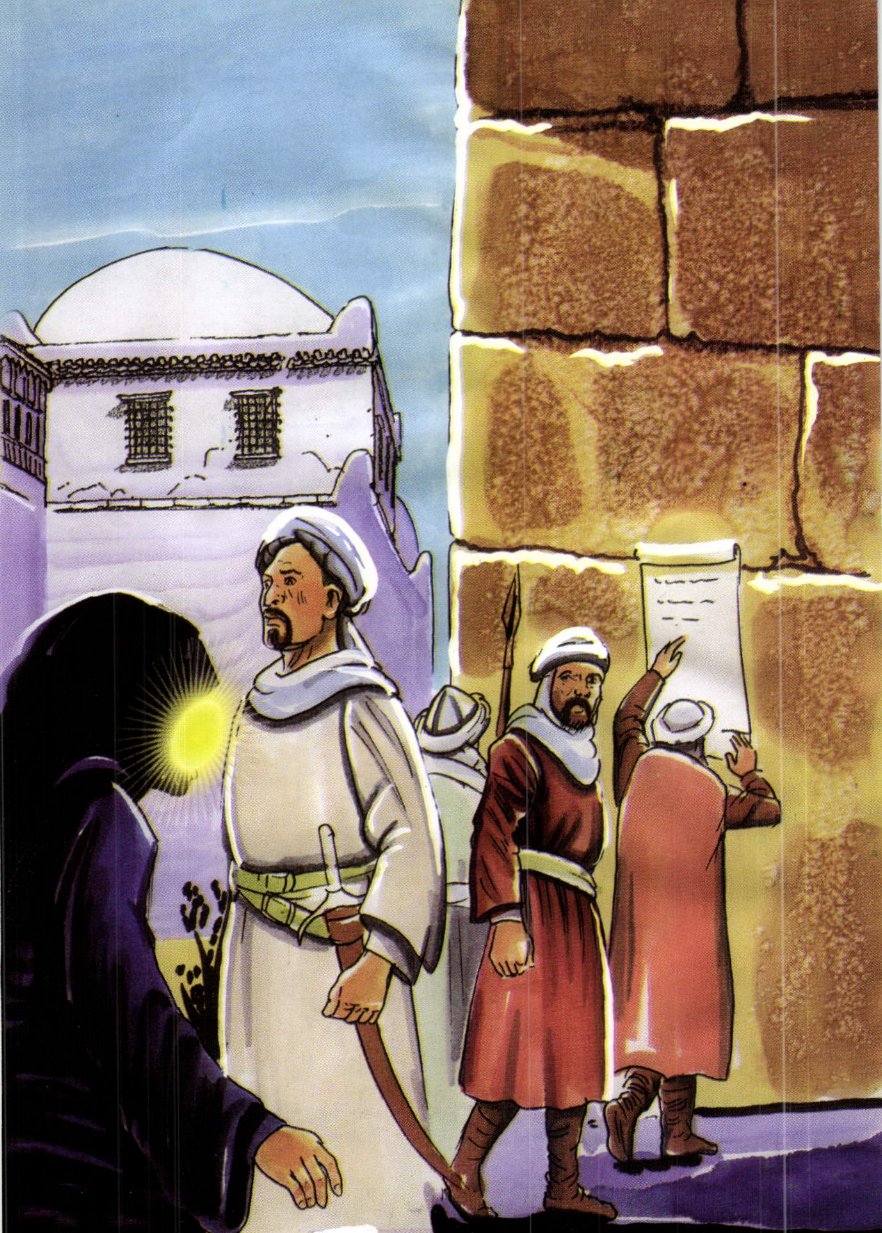


وَكَمْ تكرَّرَتْ مَشاهِدُ رُؤْيَةِ الزَّهْراءِ (ع) لِلنَّبِيِّ (ص) وَهُوَ جالِسٌ في الْمَسْجِدِ الْحَرامِ يَتْلو الْقُرْآنَ ، أوْ يُصَلّي، فيما الْمُشْرِكونَ يُحاوِلونَ تَنْفيذَ كُلِّ ما تَأْمُرُهُمْ بِهِ أَحْقادُهُمْ مِنْ أَفْعالٍ مُؤْذِيَةٍ بِحَقِ النَّبِيِّ (ص).

وَلَقَدْ تَبِعَتْ أَباها(ص) يَوْماً إِلى الْمَسْجِدِ الْحَرامِ، فَوَجَدَتْ أَحَدَ الْمُشْرِكينَ يُفْرِغُ الأَقْذارَ عَلى ظَهْرِ أَبيها الشَّريفِ (ص) وَهُوَ ساجِدٌ.

فَراحَتْ (ع) تَمْسَحُ الأَقْذار عَنْ ظَهْرِ أَبيها وَعَنْ ثِيابِهِ، وَهِيَ تَصيحُ في وُجوهِ الرِّجالِ بِجُرْأَةٍ وَشَجاعَةٍ، فَيَضْحَكونَ هازِئينَ بِما تَفْعَلُهُ صَغيرَةُ مُحَمدٍ (ص) عَلى صِغَرِ سِنِّها، وَقِصَرِ قامَتِها.

وَذاتَ يَوْمٍ اجْتَمَعَ رِجالُ قُرَيْشٍ في حِجْرِ إِسْماعيلَ(ع) في الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَراحوا يُقْسِمونَ بِأَوْثانِهِمْ وَيَتَعاقَدونَ عَلى قَتْلِ مُحَمَّدٍ (ص) إنْ رَأَوْهُ، وَأَنْ يَهْجُموا عَلَيْهِ جَميعاً. فَأَسْرَعَتِ الزَّهْراءُ (ع) إلى أَبيها(ص) باكِيَةً تَحْكي لَهُ ما سَمِعَتْهُ.



وَشَدَّدَ ٱلمُشْرِكونَ في قُرَيْشٍ مِنْ إجْراءاتِهِمْ بِحَقِ مُحَمَّدٍ (ص) ، وَهَدّدوهُ وَهَدَّدوا أهلَهُ وَقَوْمَهُ ، وكانَ النَبيُّ (ص) يَعيشُ مُتَرَقِّباً ما يُمْكِنُ أنْ تَصِلَ إلَيْهِ نَواياهُمُ ٱلخَبيثَةُ، وَأحْقادُهُمْ وَضَغائِنُهُمْ.

كانَتِ الزَّهْراءُ (ع) طِفْلَةً، ولكِنَّ وَعْيَها الكَبيرَ وَضَعَها في واقِعٍ صَعْبٍ وَمَريرٍ ، وَهِيَ تَتَوَقَّعُ كَحالِ أهْلِها أنْ يَهْجُمَ ٱلمُشْرِكونَ عَلى آلِ أبي طالِبٍ عَمّ النّبِيِّ(ص) في أيِّ وَقْتٍ.

ذلِكَ أنَّ النَّبِيَّ (ص) وَجَدَ أنَّ الاخْتِفاءَ في شِعْبِ أبي طالِبٍ قَدْ يَحْمِلُ بَعْضَ الْحَلِّ ٱلمُؤَقَّتِ لِلأزْمَةِ الَّتي يُعانيها.

ثُمَّ انْتَهى ٱلمُشْرِكونَ إلى أنْ كَتَبوا صَحيفَةً قاطِعَةً، تُحَرِّمُ عَلى أهْلِ قُرَيشٍ جَميعاً أنْ يَتعامَلوا مَعَ بَني هاشِمٍ، حَتّى عَلى صَعيدِ ٱلبَيْعِ وَالشِّراءِ.



وَذاقَ أطْفالُ الهاشِميّينَ أَلَمَ الجوعِ، وَهُمْ يُحْرَمونَ مِنْ أَبْسَطِ احتِياجاتِ الأطْفالِ مِنَ الطَّعامِ وَالكِساءِ، فيما أَهْلُ قُرَيْشٍ يُصْغونَ إلى بكائِهِمْ ، فَلا يَسْتَطيعُ أحَدُهُمْ صُنْعَ شَيْءٍ لأجْلِهِمْ.

وَطالَتْ مُدَّةُ هذِهِ الأزْمَةِ ، وَالزَّهْراءُ (ع) بَيْنَ أولئِكَ الأطْفالِ.

وَانْقَضى ما زادَ عَلى الثَّلاثِ سِنينَ فيما السَّيِّدَةُ خَديجَةُ (ع) أُمُّها تُنْفِقُ مِنْ مالِها ما يُساعِدُ عَلى التَّخْفيفِ مِنْ هذا القَرارِ الجائِرِ.

هذِهِ الفَتْرَةُ مِنْ حَياةِ الزَّهْراءِ (ع) شَحَنَتْ نَفْسَها بِصَبْرٍ جَديد، وقوَّتها بِقُوَّةٍ عَظيمَةٍ أَهَّلَتْها فيما بَعْدُ لِتَتَحَمَّلَ مَصاعِبَ أكْبَرَ، وآلاماً أعْمَقَ.

مَرَّتْ فَتْرَةُ المُقاطَعَةِ تِلْكَ، وَانْتَهَتِ الأزْمَةُ الَّتي عانى مِنْها بَنو هاشِم ما عانوهُ، فَما الَّذي كانَ يَنْتَظِرُ الزَّهْراءَ (ع) بَعْدَ ذلِكَ؟



كانَتِ الزَّهْراءُ (ع) حينَ تَشْعُرُ بِالأَلَمِ لِما يُعانيهِ أبوها في دَعْوَتِهِ للإسْلامِ ترى وَجْهَيْنِ مُشْرِقَيْنِ بِالأَمَلِ، أحَدُهُما وَجْهُ عَمّ أَبيها أبي طالِبٍ، وَالآخَرُ وَجْهُ أُمِّها خَديجَةَ (ع).

كَمْ مِنْ مَرَّةٍ شاهَدَتِ الزَّهْراءُ (ع) عَمَّ أبيها أبا طالِبٍ، وَهُوَ يَحْمِلُ سَيْفَهُ وَيُنادي أخاهُ حَمْزَةَ لِيُرافِقا النَّبِيَّ (ص) إلى الْمَسْجِدِ الحَرامِ، فَيَتَفَرَّقُ الأعداءُ مِنْ طَريقِ النَّبِيِّ (ص) خائِفينَ وَجِلينَ.

ولَكَمْ سَمِعَتْ أوْ رَأَتْ أوْ أُخْبِرَتْ عَنْ أبي طالِبٍ وَهُوَ يُنادي أبْناءَهُ فَيَأْمُرُهُمْ بِأَنْ يَفْتَدوهُ بِأَنْفُسِهِمْ.

وَلَقَدْ رَأى النَّبِيَّ (ص) وَابنَهُ عَلِيّاً (ع) يُصَلِّيانِ، وَعَلِيٌّ (ع) على يَمينِهِ، فقالَ لِجَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " صِلْ جَناحَ ابْنِ عَمِّكَ وَصَلِّ عَنْ يَسارِهِ."

فَقامَ جَعْفَرٌ (رض) إلى جَنْبِ عَلِيٍّ (ع) فَأَحَسَّ النَّبِيُّ (ص) فَتَقَدَّمَهُما فَأَقْبَلوا عَلى صَلاتِهِمْ حَتّى فَرَغوا.

هَكَذا كانَ أبو طالِبٍ، كانَ لَيْثاً غَضوباً إنْ أساءَ أحَدُهُمُ الْقَوْلَ أوِ الْفِعْلَ إلى والِدِ الزَّهْراءِ (ع).



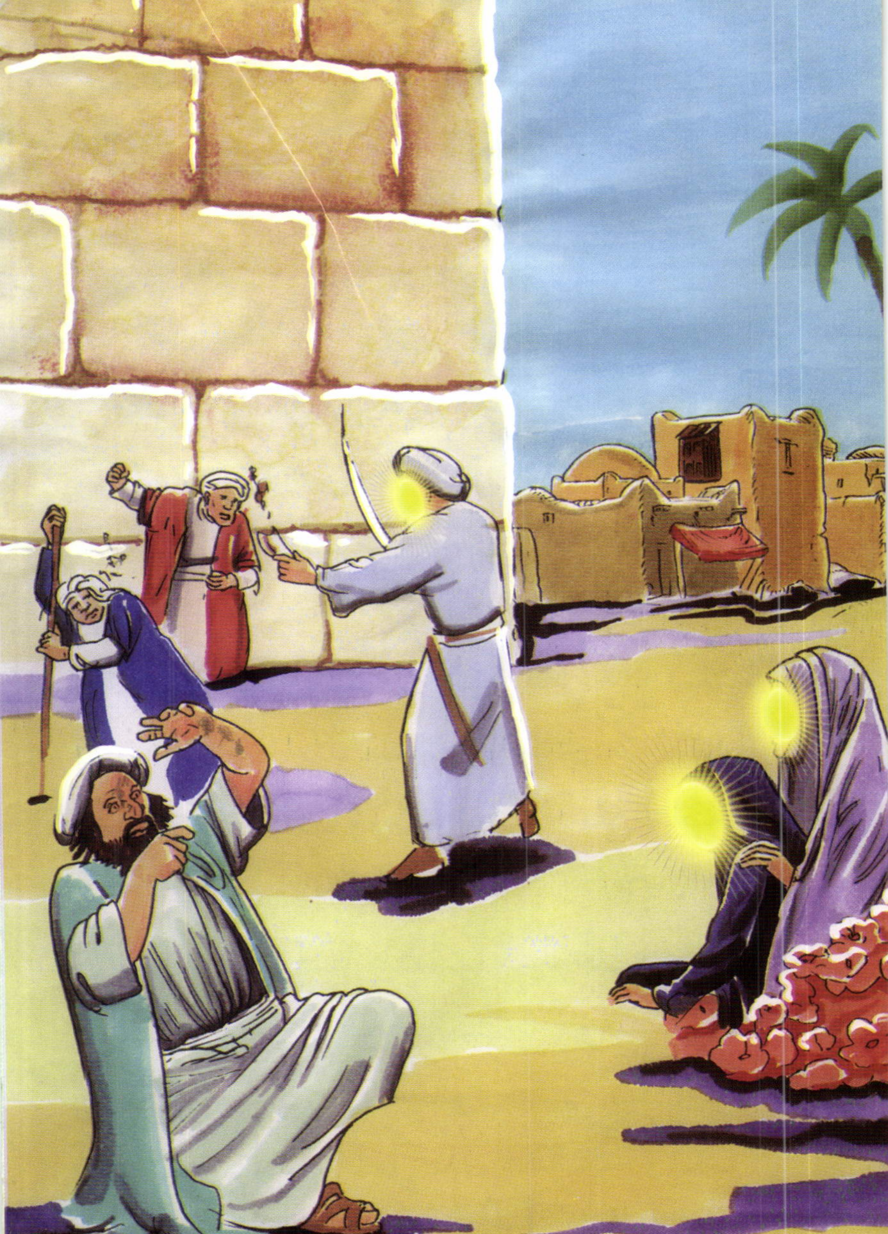
وَهِيَ لا شَكَّ سَمِعَتْ وَعَرَفَتْ بِما فَعَلَهُ أبو طالِبٍ بِالمُشْرِكينَ حينَ خَرَجَ النَّبيُّ (ص) إلى الكَعْبَةِ يوماً، وَأرَادَ أنْ يُصَلِّيَ، فَلَمَّا دَخَلَ في الصَّلاةِ قالَ أبو جَهْلٍ -لَعَنَهُ اللهُ- : مَنْ يَقومُ إلى هذا الرَجُلِ فَيُفْسِدُ عَلَيْهِ صَلاتَهُ؟.

فَقامَ ابْنُ الزِّبَعْرَي، فَأخَذَ فَرْثاً وَدَماً ، فَلَطَّخَ بِهِ وَجْهَ النَّبِيِّ(ص) ، فَانْفَتَلَ النَّبِيُّ (ص) مِنْ صَلاتِهِ، ثُمَّ أتى أبا طالِبٍ عَمَّهُ فَقالَ :" يا عَمّ ! ألا ترى إلى ما فُعِلَ بي؟".

فَقالَ أبو طالِبٍ :" مَنْ فَعَلَ هذا بِكَ؟" فَقالَ النَّبِيُّ (ص) : عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعْرَي.

فَقامَ أبو طالِبٍ وَوَضَعَ سَيْفَهُ على عاتِقِهِ وَمَشى مَعَهُ حَتّى أتى القَوْمَ،

فَلَمَّا رَأوا أبا طالِبٍ قَدْ أقْبَلَ، جَعَلَ القَوْمُ يَنْهَضونَ فَقالَ أبو طالِبٍ: " واللهِ لَئِنْ قامَ رَجُلٌ لَجَلَّلْتُهُ بِسَيْفي ". فَقَعَدوا حَتّى دَنا إلَيهم. فَقالَ: " يا بُنَيَّ ، مَنِ الفاعِلُ بِكَ هذا ؟"



فَقالَ: " عَبْدُ اللهِ بْنُ الزِّبَعرى ".

فَأخَذَ أبو طالب فَرْثاً وَدَماً، فَلَطَّخَ بِهِ وُجوهَهُمْ وَلِحاهُمْ وثِيابَهُمْ، وأساءَ لَهُمُ الْقَوْلَ.

هذه صورَةٌ مِنْ مَواقِفِ أبي طالِبٍ (ع) التي كانَتْ تَحْمِلُ إلى قَلْبِ الزَّهْراءِ(ع) سُروراً وَاطْمِئناناً، كُلَّما حاقَ الخَطَرُ بِأبيها النَّبِيِّ (ص) فَيَهونُ الخَطْبُ، وَيَهْدَأُ بالُها.

أمّا أُمُّها خَديجَةُ (ع) سَيِّدَةُ نساءِ أهْلِ الجَنَّةِ، وَأوَّلُ امْرَأةٍ آمَنَتْ بِالنَّبِيِّ(ص) وَصَدَّقَتْهُ ، وَغَمَرَتْ قَلْبَهُ بِالسَّعادَةِ وَالهَناءِ، وَنَذَرَتْ مالَها وَنَفْسَها وَحَياتَها لِنُصْرَتِهِ، حَتّى باتَتْ تَنامُ هِيَ وَالرَّسولُ (ص) في كِساءٍ واحِدٍ ، لَمْ يَعُدْ عِنْدَها غَيْرُهُ.

هذه الأُمُّ العَظيمَةُ الَّتي احْتَضَنَتْ الزَّهْراءَ(ع) في طُفولَتِها، كانَتْ لَها كَما كانَتْ لِمُحَمَّدٍ(ص) السَّلْوى وَالعَزاءَ في مُواجَهَةِ كُلِّ الخُطوبِ.



لكِــنَّ الحَياةَ لَمْ تَمْضِ عَلى النَّحْــوِ الَّذي تَمَنَّتْهُ الزَّهْراءُ(ع).

فَأَبو طالِبٍ دَخَلَ في مَرْحَلَةِ الشَّــيْخوخَةِ مِنْ عُمُرِهِ وَتَخَطَّى الثَّمانينَ ، وَراحَ المَرَضُ يَفْتِكُ بِهِ.

وَمــا هِــيَ إلاَّ أيّامٌ حتَّى رَأتِ الزَّهْــراءُ (ع) أبَاها النَّبيَّ (ص) يَعودُ إلى البيْتِ دامِعَ العَيْنَيْنِ، مكْســورَ الفُؤادِ. لَقَدْ تُوُفِّــيَ أبو طالِبٍ الَّذي كانَ يَمْلأُ قَلْبَ الزَّهْــراءِ (ع) بِالفَــرَحِ يَوْمَ كانَ الأَلَــمُ يَحوقُ بِها، وَانكَسَــرَ السَّــيْفُ الَّــذي كانَ الأعْــداءُ يَهابونَــهُ وَيَحْسَبونَ لِحَدِّهِ ألْفَ حِساب.

هُناكَ كانَتْ خَديجَةُ (ع) تَمْسَحُ دُموعَ النَّبِيِّ (ص) ، وَتُخَفِّفُ أَوْجاعَهُ وَتَحْتَضِنُ ابنَتَها الزَّهْراءَ(ع) لِتُخَفِّفَ مِنْ شُعورِها بِالحُزْنِ عَلى ما يُكابِدُهُ أبوها النَّبِيُّ (ص) وما يُقْلِقُها مِنْ أمْرِ أعْدائِهِ المُتَرَبِّصِينَ بِهِ.

وَلَــمْ تَمْضِ سِــوى فَتْرَةٍ قَصيــرَةٍ ، حَتَّى مَرِضَتْ خَديجَةُ (ع) . كانَتِ الزَّهْراءُ (ع) قَدْ قارَبَتِ الثامِنَةَ مِــنْ عُمْرِهــا ، فَراحَتْ تَنْظُرُ إلى أمِّهــا الحنونِ بِألمٍ وَأنكِسارٍ، مِن دون أن يَكونَ في يَدِها ما تَفْعَلُهُ.



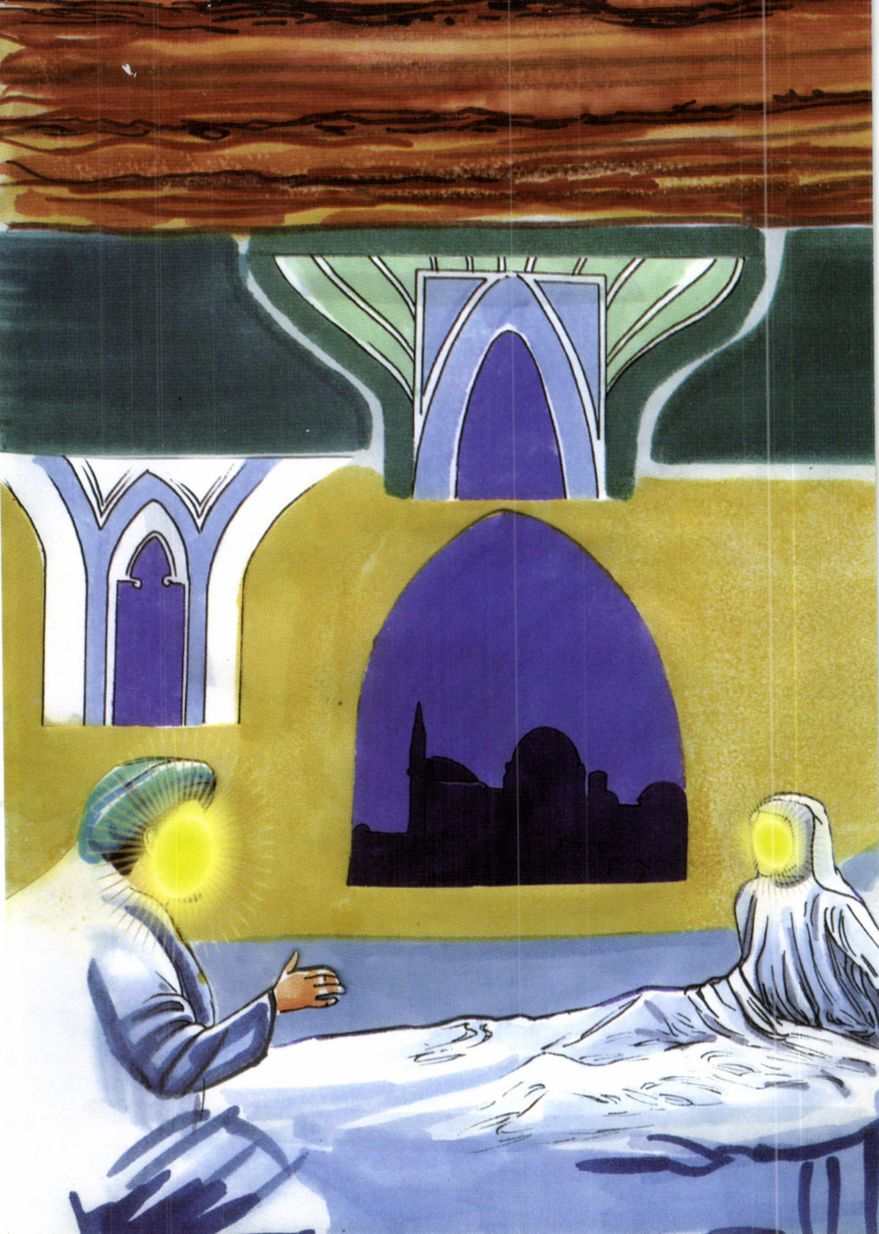
بَكَتِ السَّيِّدةُ خَديجَةُ (ع) وَهِيَ طَريحَةُ الفِراشِ تَتَهَيَّأُ لِلِقاءِ رَبِّها سُبْحانَهُ وَتَعالى، فَقالَتْ لَها أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ:" أتبكينَ وَأَنْتِ سَيِّدةُ نِساءِ العالَمين؟ وَأَنْتِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ؟ مُبَشَّرةٌ على لِسانِهِ بِالجَنَّةِ؟".

فَقَالَتْ (ع) :" ما لِهذا بَكيتُ ، ولكِنَّ المَرْأَةَ لَيْلَةَ زَفافِها لا بُدَّ لَها مِنِ امْرَأَةٍ تُفْضي إِلَيْها بِسِرِّها، وَتَسْتَعينُ بِها عَلى حَوائِجِها ، وَفاطِمَةُ حَديثَةُ عَهْدٍ بِصِبا ، وَأَخافُ أَنْ لا يَكونَ لها مَنْ يَتَوَلّى أَمْرَها حينَئِذٍ".

فَقالَتْ أَسْماءُ: "يا سَيِّدَتي لَكِ عَهْدُ اللهِ إِنْ بَقيتُ إِلى ذلِكَ الْوَقْتِ أَنْ أَقومَ مَقامَكِ في هذا الأَمْرِ".

وحينَ اشْتَدَّ بِخَديجَةَ(ع) الْمَرَضُ، قالَتْ لِلنَبِيِّ(ص): "يا رَسولَ اللهِ، إِسْمَعْ وَصايايَ. أَوَّلاً فَإِنّي قاصِرَةٌ في حَقِّكَ، فَأَعْفِني يا رَسولَ اللهِ".

قالَ(ص): "حاشا وكلاّ ما رَأَيْتُ مِنْكِ تَقْصيراً، فَقَدْ بَلَغْتِ جُهْدَكِ وَتَعِبْتِ في داري غايَةَ التَّعَبِ، بَذَلْتِ أَموالَكِ وَصَرَفْتِ في سَبيلِ اللهِ جَميعَ مالِكِ".



قالَـتْ: "يا رَسـولَ اللهِ. الْوَصِيَّـةُ الثّانِيَةُ: أُوصيكَ بِهَذِهِ، وَأَشـارَت إِلى فاطِمَـةَ(ع)، فَإِنّها يَتيمَةٌ غَريبَةٌ مِـنْ بَعْدي، فَـلا يُؤْذيها أَحَدٌ مِنْ نِسـاءِ قُرَيْشٍ، وَلا يَلْطِمْنَ خَدَّهـا، وَلا يَصِحْنَ في وَجْهِها، وَلا يُرينَها مَكْروهـاً. أَمّـا الْوَصِيَّـةُ الثّالِثَةُ، فَإِنّـي أَقولُها لابْنَتي فاطِمَـةَ، وَهِـيَ تَقولُ لَـكَ، فَإِنّي مُسْـتَحِيَةٌ مِنْكَ يا رَسولَ اللهِ".

فَقـامَ النَبِيُّ(ص) وَخَـرَجَ مِنَ الْحُجْـرَةِ، فَدَعَتْ خَديجَةُ(ع) بِفاطِمَـةَ(ع)، وَقالَتْ: "يا حَبيبَتي وَقُرَّةَ عَيْنـي، قولي لأَبيـكِ: إِنَّ أُمّي تَقولُ: أَنـا خائِفَةٌ مِنَ الْقَبْـرِ، أُريدُ مِنْـكَ رِداءَكَ الّذي تَلْبِسُـهُ حينَ نُزولِ الْوَحْيِ، تُكَفِّنُني فيهِ".

فَخَرَجَتِ الزَّهْراءُ(ع)، وَقالَتْ لأَبيها ما قالَتْهُ أُمُّها، فَقـامَ النّبِـيُّ(ص) وَسَـلّمَ الـرِّداءَ إِلـى فاطِمَةَ(ع)، وَأَسْرَعَتْ بِهِ إِلى أُمِّها، فَسُرَّتْ(ع).



بَعْدَ ذلِكَ تُوفِّيَتْ خَديجَةُ(ع)، وَقامَ الرَّسولُ(ص) بِتَجْهيزِها كَيْ تُدْفَنَ، وَحينَ أَرادَ أَنْ يُكَفِّنَها هَبَطَ جبرائيلُ(ع)، وَقالَ: "يا رَسولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السّلامَ، وَيَخُصُّكَ بِالتَّحيَّةِ وَالإِكْرامِ، وَيَقولُ لَكَ: يا مُحَمَّدُ، إِنَّ كَفَنَ خَديجَةَ مِنْ عِنْدِنا، فَإِنَّها بَذَلَتْ مالَها في سَبيلِنا".

وَجاءَ جبرائيلُ(ع) بِكَفَنٍ، وَقالَ: "يا رَسولَ اللهِ، هذا كَفَنُ خَديجَةَ، وَهُوَ مِنْ أَكْفانِ الْجَنَّةِ أَهْدى اللهُ إِلَيْها". فَكَفَّنَها رَسولُ اللهِ(ص) بِرِدائِهِ الشَّريفِ أَوَّلاً، وَبِما جاءَ بِهِ جبرائيلُ(ع) ثانِياً. وَكانَ لِخَديجَةَ(ع) مِن دونِ النّاسِ جَميعاً كَفَنٌ مِنَ اللهِ تَعالى وَكَفَنٌ مِنْ رَسولِ اللهِ(ص).

بَعْدَ ذلِكَ حُمِلَتْ خَديجَةُ(ع) إِلى قَبْرِها، حَيْثُ دَفَنَها الرّسولُ(ص) في الحُجونِ، وَنَزَلَ(ص) في قَبْرِها. إِلى هُناكَ لَحِقَتْ بِهِ الزَّهْراءُ(ع)، وَراحَتْ تَلوذُ بِهِ، وَتَدورُ حولَهُ، وَتَسْأَلُهُ: "يا رَسولَ اللهِ، أَيْنَ أُمّي؟".



وَكانَ النّبِيُّ (ص) لا يُجيبُها. فَراحَتِ الزَّهْراءُ (ع) تَبْحَثُ عَمَّنْ تَسْأَلُهُ. وَإِذْ بِجبرائيلَ (ع) يَهْبِطُ وَيَقولُ لِلنّبِيِّ (ص): "إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ عَلى فاطِمَةَ السَّلامَ، وتقولَ لَها أُمُّكِ في بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، كِعابُهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَعْمِدَتَهُ مِنْ ياقوتٍ أَحْمَرَ، بَيْنَ آسِيَةَ امْرأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرانَ".

حينَذاك قالَتِ الزَّهْراءُ (ع): "إِنَّ اللهَ، هُوَ السَّلامُ وَمِنهُ السَّلامُ وَإِلَيْهِ يَعودُ السَّلامُ".

وَعادَ النّبِيُّ (ص) إِلى بَيْتِهِ مُثْقَلاً بِالهُمومِ؛ لَقَدْ خَسِرَ بِوَفاةِ عَمِّهِ أَبي طالِبٍ الْحامِيَ وَالْمُدافِعَ، وَخَسِرَ بِوَفاةِ زَوْجِهِ الْوَفِيَّةِ الْحِضْنَ وَالْمُواساةَ وَالْعَزاءَ.

أَمّا فاطِمَةُ (ع) فَلا يُمكِنُ لِحُزْنِها في ذلِكَ الْيَوْمِ أَنْ يوصَفَ، لَقَدْ فَقَدَتْ أُمّاً لا تُوازيها امرَأَةٌ في الْكَوْنِ كُلِّهِ...



بَعْدَ أَنْ غَرَسَتْ في قَلْبِها وَفي سُلوكِها تَربِيَةً فَذَّةً، وَجَمَّلَتْها بِفَضائِلَ لا تُحْصى، تُضافُ إِلى ما تَمْلِكُهُ الزَّهْراءُ(ع) في شَخْصِها، مِمّا حَباها بِهِ اللهُ تَعالى، وَما تَيَسَّرَ لَها، كَوْنُها ابْنَةَ مُحَمَّدٍ(ص).

في عامٍ واحِدٍ إِذاً، خَسِرَ النَّبِيُّ(ص) اثْنَيْنِ هُما أَقْرَبُ النّاسِ إِلى قَلْبِهِ وَأَكْثَرُهُمْ دِفاعاً عَنْهُ، وَعَوْناً لَهُ في تَحَمُّلِ أَعْباءِ الرِّسالَةِ. وَسُمِّيَ ذلِكَ العامُ بِعامِ الأَحْزانِ.

وَلَم يَكَدِ الْمُشْرِكونَ يَعْلَمونَ بِأَنَّ النَّبِيَّ(ص) صارَ وَحيداً في مُواجَهَتِهِمْ -رَغْمَ ازْدِيادِ الأَتْباعِ وَالْمُناصِرينَ- حَتّى هَبّوا يُعيدونَ الْكَرَّةَ في تَهْيِئَةِ الْخُطَطِ لإِيذائِهِ مِنْ جَديدٍ.

كَيفَ لا، وَقَدِ انْطَفَأَ ذلِكَ الْقِنْديلُ السّاهِرُ عَلى حِمايَتِهِ، وَانْكَسَرَ سَيْفُهُ الْمُصْلَتُ عَلى شُرورِهِمْ. لَقَدْ كانوا يَخافونَ غَضْبَةَ أَبي طالِبٍ، وَيَحْسَبونَ حِساباً لِمالِ خَديجَةَ الّذي كانَ يُسَهِّلُ وَضْعَ حُلولٍ لِلْمُشْكِلاتِ، فَما الّذي يَحولُ الآنَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مآرِبِهِمْ؟ وَكَيْفَ سَتُواجِهُ الزَّهْراءُ(ع) كُلَّ ذلِكَ إِلى جانِبِ النَبِيِّ(ص).

